Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جرب ذلك كثير من الروائيين الحداثيين. وإذا كان الأمر يبدو تواصلاً مع التراث السردي كمحاولة حداثية، أو كردة فعل على اطّراد غربة الحداثة الروائية وانبتاتها عن القارئ، فالأمر أيضاً قد ينتكس بالرواية إلى ماغادرته منذ عقود، وإن كان –من أسف– ينبق بين حين وحين، وهذا ما لم تكن (حالة شغف) بمنجاة منه بسبب راويها.

فهذا الراوي ليس فقط (أرسين لوبين)، بل ذو ذاكرة رديئة، وأقرب مثال ما نقرأ عندما يسكب له الخادم– الابن اسماعيل الشوربة: "لم أرتح لنظرته ثم خرج تناولت الشوربا وأنا مرتاح وغير خائف دون أن تؤثر فيّ تلك النظرات غير المريحة" (ص74). هل نسيت الذاكرة عدم الارتياح وتأثير نظرة اسماعيل؟ أم هو التبدل المباغت المعجز (الأرسين لوبيني) في الحالة؟ أم هو إرسال الكلام جزافاً؟

على أن ذلك يظل أهون شراً من استبداد الراوي بالرواية، وحرمانها بالتالي من تعدد اللغات أحياناً، ليفرض لغته الوحيدة على أغلب الشخصيات والحالات، فضلاً عمّا يزجه في سوانحه السردية، مما قد يكون ثميناً كمعلومة ونظرية، لكنه ينيخ على الرواية بالمحاضرة والتنظير، ومن ذلك ماذكرنا عن النباتات السامة، أو ما لم نذكر من أصل تسمية بنات العشرة وتاريخهن في حلب، حيث التوسّل بالحوار لتقديم المعلومة في التخفيف من وطأة الراوي. أما بالنسبة لإنطاق الشخصيات بلسان الراوي –على الرغم مما يفترض من بون الخصوصية بين راقصة أو سحاقية وبين مهندس زراعي– فأقرب مثال هو ماتحاضر به الراقصة اليهودية راحيل لسيدتها بهيرة عن الرقص: إنه ليونة الجسد، حركات عفوية، إنه الرقص من أجل الرقص، والرقص غريزي الطابع، وقد تكون خبرة راحيل أكبر، ولكن لماذا لم تقدمها الرواية كمثقفة مادامت قادرة على أن تنظّر للرقص بتلك اللغة؟ وهل للمرء إذن أن يذهب إلى أن الراوي قد أتى بنفسه، سواء باستبداده أم بذاكرته، على ماتوسّله من أجل الوصال مع القارئ أو المسرود له؟

3–الحكاية:

يؤكد الراوي أنه نشأ يحب الحكايات، وقد كان ذلك في البداية سر استمالة حكاية الشيخ نافع له وسط جو غرائبي. بيد أن هذه الحكاية سرعان ما تستبد به وتغدو أمراً آخر يجعله يصارع من أجل البقاء في بيت الشيخ والاستماع له على الرغم مما يتهدده به اسماعيل "فالقضية ليست حكاية فحسب بل هي أكثر من ذلك